

حديث صحافي لجلالة الملك مع مجلة نوفيل أو بسيرفاتور

سؤال — ان النداء الذي وجهتموه الى جميع الدول الاسلامية وجميع رؤسائها بدون استثناء يكتسي طابع القلق اذا لم نقل طابع الانذار بالخطر، فهل تبدو لكم الاحداث التي وقعت بمكة على درجة كبرى من الخطورة ؟

جواب — ان هذا النداء على كل حال لن يفاجيء قراء أسبوعية (لونوفيل أوبسرفاتور)، فهو يتناسق مع الحديثين اللذين سبق لكم ان أجريتموهما معي مرتين، كما يتناسق والاحاديث التي أجرتها معي عدة جرائد عربية، فقد حدث ما كنت أتوقعه وأخشاه، لكن الذي حدث يعتبر شيئا بسيطا بالنظر الى ما يمكن ان يقع اذا لم يشعر جميع المسلمين في العالم بانهم مهددون فيما يبرر وجودهم بل ربما قلت في روحهم.

سؤال — هل يأتي هذا التهديد من التطرف الديني ؟

جواب — انني أرفض استعمال هذا التعبير، لأن الذين يستعملونه من جهة هم غالبا اعداء العقيدة الاسلامية، كما انه من جهة أخرى سيكون من باب عدم الانسجام بالنسبة لي ان استعمل عبارة تعمل على التفرقة في الوقت الذي أوجه فيه نداء من أجل التجمع والوحدة.

فلنكن واضحين، ان ما أرغب في التوصل اليه هو نوعا ما مجمع ديني يشبه بعض الشيء ما عرفته المسيحية خلال تاريخها، فهذه ضرورة تطرح نفسها اعتبارا لبعض المبادرات التي قام بها مسؤولون ايرانيون، فهؤلاء المسؤولون اذن في اعتقادي هم أول المدعوين إلى مثل هذا المجمع، فلا يمكن للمرء اذن ان يدعو ويندد في نفس الوقت، وعلى كل فان لفظة يدعو غير مناسبة، فأنا آمل ان يكون الايرانيون هم الدولة التي تدعو الى وعي مشترك ومعمق وعاجل.

سؤال — ان المجامع الدينية في العرف المسيحي أو الكاثوليكي بالأحرى جاء التئامها تسع مرات من عشرة من أجل الطرد، اذا لم نقل من أجل اعتبار شخص ما خارجا عن العقيدة، فمجمع — طرناط — مثلا كان مجمع مناهضة للاصلاح البروتستاني، ثم ان في هذه المجامع كان الأساقفة هم الذين يلتقون، لا رؤساء الدول... الفقهاء بدل رجال السياسة.

جواب — فعلا... هذه البيانات توضح قولي، فالمسلم هو من يشهد لا اله إلا الله، وان محمداً رسول الله، فليس هناك في الاسلام سلطة دينية على شكل كنيسة روما بامكانها ان ترمي شخصا ما بالمروق، ولكنه يحدث ان يعطي أحد نفسه هذا الحق أو يستشعر واجبا من هذا القبيل استنادا الى الهام أو تأويل ما سواء كان لهذا التأويل ما يبرره أم لا.

وحتى لا أغوص في مناقشات لاهوتية جد معقدة أقول ببساطة : ان هذا المجمع الاسلامي بامكانه ان يعمل على إيجاد تلك العلاقات المتسامحة بل وحتى الأخوية التي سادت بين المسلمين والشيعة على الخصوص خلال أربعة عشر قرنا، بل أضيف ان مثل هذه العلاقات مازالت قائمة بين السنيين وجزء كبير من الشيعة.

أما بالنسبة لملاحظاتكم الثانية فليس هناك ما يحول دون ان نعمل على عقد اجتماع للمفكرين ولرجال

الدين قبل اجتماع رؤساء الدول.

الا انه نظرا للمشاكل المطروحة وللطابع الاستعجالي الذي تكتسيه هذه المشاكل يتعين توافر الارادة السياسية التي هي من شأن الملوك والرؤساء.

سؤال — هل يعود هذا الطابع الاستعجالي الى أحداث مكة ؟

جواب — يعود الى انه بالامكان تجدد ذلك، وانه اعتبارا للتطور الحالي للأمور فانه ليس هناك أي مانع يحول دون تكرار هذه الأحداث بشكل أكثر خطورة، فما هو كنه المشكل في مثل هذه الحالة ؟. . هو معرفة ما اذا كنا نحن ممثلي ما يربو على مليار من المسلمين في العالم ما زلنا متفقين على ابقاء مهمة الصيانة والحفاظ على الاماكن المقدسة على عاتق المملكة العربية السعودية.

فقد كنا دائما متفقين على هذه النقطة مهما كانت الخلافات الظرفية التي كانت على كل حال خلافات عابرة، وقد كان الاجماع دائما حاصلا على هذه النقطة سواء بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أو قبل ابان الحكم العثماني أو بعده، كما هو الشأن بالنسبة للتاريخ الحديث، فهذه نقطة على قدر من الأهمية بحيث يتعذر على غير المسلمين ان يدركوها في كل ابعادها.

فالتحقيقات الصحفية عن الحج لا يمكن ان تعطي فكرة ضافية عن التجربة المعاشة من طرف المؤمن، ان الأماكن المقدسة ليست مكانا رمزيا او مكانا للذكرى كما تقولون، انها أماكن لاداء الفريضة، فليس هناك يوم واحد في السنة أو ساعة واحدة في النهار او في الليل تخلو فيهما هذه الأماكن من المؤمنين، انها أماكن مفتوحة في وجه المسلمين من جميع الاجناس، وتلتقي فيها جميع الشعوب، ويعود منها الشخص وقد طهرت روحه، فبالنسبة للحج يعتبر الحياد السعودي حيادا مثاليا، اذ انه لا يمكن للمرء ان يجد في تصرف سلطات هذا البلد موقفا يحكمه النظام السياسي أو الاصل العربي أو الانتماء السني، بيد أنه يبدو مع ذلك ان هناك — لأسباب تتعلق بخلافات ذات طابع ديني أو سياسي أو قومي — محاولة أكيدة لبث عدم الاستقرار، وقد تترتب عن ذلك عواقب لا تحصى.

سؤال — هل تعتقدون أن مجمعا دينيا يمكن أن يقنع الايرانيين بالتخلي عن مثل هذا الاغراء ؟

جواب — أقول، انه يجب ان نجتمع ونتحادث، وان تتم معالجة مشاكل الاسلام بين مسلمين تجمعهم عقيدة أساسية، أقول : انه لا يجب الاستسلام للأسوأ قبل القيام بجميع المحاولات لدرئه، وبالنسبة للحوار مع الايرانيين فان لي تجربة في ذلك، فقد كانوا في ضيافتي في مؤتمر القمة الاسلامي الأخير، ولا أعتقد انهم احتفظوا بذكرى سيئة عن ذلك.

ان المسلمين مدينون كثيرا للأمة الفارسية العظيمة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكن لها تقديرا كبيرا، فعلماء الحديث الأوائل كانوا من الفرس، اما قضية الشيعة فكانت في الأصل مشكلة خلافة، وقد ظهرت الحجج ذات الطابع الديني على اثر الخلافات السياسية الداخلية، وتعلمون بالاضافة الى ذلك انه بالنسبة لحوالي مئة مليون شيعي فان التصور الرديكالي الذي تسمونه بالتطرف الديني هو تصور الأقلية.

أما بالنسبة لي فان الشيعة هم مسلمون قبل ان يكونوا شيعة، وانا احترمهم ولا أريد أن أفرض عليهم شيئا كما أنني لا أحبذ الامبريالية الدينية.

وبصفة عامة ــ وأعتقد أنني قلت ذلك بما فيه الكفاية لليهود والمسيحيين ــ فان المسلم غير المتسامح لا يعتبر مسلما، فإذا كان النبي قد حرم الحروب الدينية بين المؤمنين بالكتاب واحفاد ابراهيم فماذا يمكن القول بالنسبة للنزاعات بين المسلمين.

سؤال ــ وماذا عن الحرب بين العراق وايران ؟

جواب ــ كنت انتظر منكم هذا السؤال.

انها حرب مرعبة وعدد قتلاها فاق كل تصور وهذه وصمة عار على جبين كل مسلم، وانا أحسها كجرح شخصي، وفضلا عن ذلك فان الهدف السياسي الوطني الذي يوصف احيانا بالهدف الثقافي والذي تخفيه هذه الحرب جد واضح بالنسبة لي منذ ان كان الامام الخميني بنوفل لوشاطو، فهو لم يخف نواياه العميقة قط وعلى كل حال اسمحوا لي بأن اذكركم بأنني كنت جد متشائم بخصوص نظام شاه ايران منذ اليوم الذي نظم فيه احتفالات (البيرسيبوليس) الخارقة، فقد استعرضت فيها جميع مراحل التاريخ الفارسي ما عدا مرحلة التحول الاسلامي، فكيف يعقل ان يمحو المؤمن من ذاكرته ومن الذاكرة الشعبية 1400 سنة من الاسلام في بلد اسلامي، ولكي نعود الى حديثنا عن ايران فقد كان من السهل ادراك ان الرهان كان منصبا منذ البداية على البحر الأحمر وما يحيط به، وان المملكة العربية السعودية شكلت جوهر هذا الرهان وهدفه، وانا كنت كلما سمعت لفظة القدس ترجمتها بلفظة مكة، فهناك منطق واضح في هذه القضية.

سؤال ــ وهل تعتقدون ان هذا المنطق لم يتم ادراكه ؟

جواب ــ فحتى ولم تم ادراكه فهو لا يؤخذ بعين الاعتبار، فكثيرة هي القوى التي من مصلحتها ان يستمر النزاع وان تنهار البلدان، ومسؤولية اندلاع الحرب لا تقع على هذه القوى، لكني لن أقول نفس الشيء بالنسبة لاستمرارها، ذلك انه في الوقت الذي تتواصل فيه الحروب فان شعلة الراديكالية تمتد الى كل الجهات الاخرى، ولو كانت لي نصيحة الى الاسرائيليين في هذا الشأن فهي ان يبقوا خارج نطاق هذه الحرب، لأنه في نهاية المطاف يمكن ان تقام الوحدة ضدهم، وهذه النصيحة لا تنطبق على اسرائيل وحدها.

سؤال ــ انها مناسبة للعودة الى الحديث عن اسرائيل، هل تأسفون لكون مباحثات يفرن مع شيمون بيريز لم تسفر عن النتائج المرجوة ؟

جواب ــ أبدا، ففي قمة فاس لسنة 1982 تكون لدي الاقتناع بأن الاغلبية الساحقة للدول العربية تعتقد ان لاسرائيل الحق في الوجود.

وفي يفرن ثبت لدي ان هناك اسرائيليين لهم صفة تمثيلية يطمحون في سلام واقعي وقابل للتحقيق، أما الباقي فمسألة وقت، ولا يمكن تفادي المؤتمر الدولي الذي سيعقد في يوم ما لا محالة، والى جانب ذلك فمن المؤسف ان المشكل العربي الاسرائيلي لم يحل محل باقي المشاكل بين العرب والمسلمين كما كان الشأن منذ عقود.

سؤال ــ يبدو انكم تقللون من أهمية البعد الثقافي للرادكالية الاسلامية، بما انكم لا ترغبون في ان يجري الحديث عن التطرف الديني، لكن هناك في مصر وتونس ودول اسلامية أخرى العديد من الشباب الذين لا يهتمون الا قليلا بالقومية الايرانية والتمييز بين أهل الشيعة وأهل السنة، فهم يقولون انهم يدافعون عن مشروع مجتمع اسلامي يختلف تماما عن المجتمع المادي في الغرب، فهم يطالبون بتطبيق الشريعة الاسلامية.



جواب — انني لا أقلل من أهمية البعد، وليس هذا فحسب، بل انني اتفهمه واتبناه ويمكنني ان أقول فوق ذلك انني انا نفسي أصولي، فأنا أدعو الى الاحترام التام للقيم الاسلامية، غير ان هناك في هذا المجال لبساً يغيظني، ان يكره المرء اي نوع من المجاهرة بالخلاعة، فهذا شيء، وأنا من هذا الرأي، لأن النبي ﴿ﷺ﴾ قال : «اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عز وجل عنها، فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله عز وجل ...»، والنبي ينهي عن ايذاء الجار ويأمر باحترام الآخر، فإذا كنت لا ترغب في صيام رمضان بسبب مرض فعليك ان لا تثير مشاعر الآخرين بهذا الخرق، غير انه لا يسمح لأي شخص ان يتحقق من صيامك أو عدم صيامك بوسيلة ما مثل تحليل كمية من الدم، فالتسامح بالنسبة لغير المسلمين يكمن في عدم انتهاك حريتهم، لكن التسامح بالنسبة للمؤمنين هو الا تخدش ايمانهم بمنظر مشين، اما بالنسبة للقرآن فهناك العديد من التأويلات وكلها مقبولة.

هل تعلمون انه في فترات المجاعة في مكة المكرمة كان يحرم قطع يد السارق لانه كان يسرق ليقتات، فالاصولية هي احترام تام لروح الشريعة، بينما الراديكالية تدعو الى التطبيق الحرفي وغير المتسامح للشريعة.

سؤال — يبقى اذن ان نطلب منكم ما اذا كنتم تعتقدون بأنكم في وضع يسمح لكم أكثر من غيركم باسماع صوت العقل للمسلمين ؟

جواب — انني كما تعلمون أمير المؤمنين، وقد حصلت على هذا اللقب منذ ولادتي بدون ان أطلب الحصول عليه أو أرغب فيه، وهذا يعني انني أحد أحفاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شيء غير شائع، فأنا بالرغم من تجذري في المغرب منذ أجيال فان نسبي الأصلي ينحدر من مكة المكرمة.

ان لقب أمير المؤمنين مهم بالنسبة لأولئك (ومنهم الايرانيون) الذين يولون أهمية خاصة لمسألة الانتساب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو لقب يلزم بالكثير من التواضع، ومع هذا يفرض أحيانا بعض المسؤوليات، وعلى هذا الأساس طلبت مني بعض الشخصيات الاسلامية استنادا الى هذا اللقب التدخل في النقاشات ذات الطابع الديني، بينما سألتني شخصيات أخرى في المغرب، لماذا لا أحذو حذو والدي في بعض المناسبات في إمامة الناس في صلاة الجمعة ؟ وأجبت بأن ذلك راجع الى احساسي الداخلي بأنني لست ناضجا ولا أهلا للقيام بذلك، مع انني بقدر ما اتطور وبقدر ما اتقدم في السن — وقد عايشتم تطوري بعواطف متقاسمة — ازداد شعوراً باسلامي، اما بالنسبة لجانب المسؤولية فقد شعرت بأنه اصبح لزاماً علي ان لا أبقى مكتوف اليدين ولا غير مبالي ازاء التهديد المحدق بهذا الدين العظيم والرائع، ألا وهو الاسلام الذي أعطى احدى ازهى الحضارات، والذي مازال لم يقل كلمته الأخيرة بعد، ولتطمئنوا فقد تلقيت العديد من الردود الايجابية على ندائي، واني في انتظار رد الايرانيين.

الخميس 7 صفر 1408 — 1 أكتوبر 1987